فوائد الصلاة الروحية والخلقية

لقد اعتنى الإسلام بسلامة الروح وتطهيرها من مفاسد الأخلاق الرذيلة، وحضها على التخلق بالصفات الحميدة، فكانت الصلاة تحقق هذا الهدف.

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[1].

جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآية العبادتين الصلاة، وقراءة القرآن. ففي تفسير الخازن في معنى هذه الآية: «فإن قلت: لِمَ أمر الله سبحانه وتعالى بهذين الشيئين: تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة فقط؟ قلت: لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة: قلبية: وهي الاعتقاد

(1) سورة العنكبوت، الآية: 45.

بوحدانية الله سبحانه وتعالى. ولسانية: وهي الذكر الحسن. وبدنية: وهي العمل الصالح. لكن الاعتقاد لا يتكرر، فإن من اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقده مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمراً، فيبقى الذكر والعبادة البدنية، وهما ممكنا التكرار، فلذلك أمر بهما».

وفي تفسير القرطبي في معنى قوله تعالى: «ولذكر الله أكبر» أي ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم.

وقيل: ذكر الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من غيرهما من الطاعات.. وقيل: المعنى: إن ذكر الله مع المداومة أكبر من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر.

ومعنى إقامة الصلاة أي: أداؤها تامة بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها.

وقيل: يقيمون: يديمون، وأقامه أي أدامه، وإلى هذا المعنى أشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

وقد يتساءل البعض أن هناك كثيراً من المصلين تراهم لم يرتدعوا عن فعل المعصية وارتكاب الجريمة؟

والجواب: أن في الصلاة قوة روحية لو أخذت مأخذها من أعضاء المصلي ومن حواسه لكان لها ذلك الأثر الذي حدثنا عنه القرآن الكريم.

أما فقيام المصلي بالصلاة كعادة ألفتها النفس وقامت بها حركات الجسد دون الروح، فليس هي الصلاة المعنية في القرآن الكريم.

ففي النزهة للنيسابوري: أن رجلاً راود امرأة عن نفسها، فأخبرت زوجها بذلك، وكان من الصالحين. فقال لها: قولي له صلِّ خلف زوجي في المسجد أربعين صباحاً حتى أطيعك فيما تريد. فقالت له ذلك. فقبل وأخذ يصلي خلف زوجها في المسجد. ثم قابلته بعد ذلك. فقال لها: سامحيني عما أسأت نحوك، أسأل الله لك الجزاء والثواب، فقد نهتني صلاتي عن كل منكر وإني تبت إلى الله ﷻ. فأخبرت زوجها. فقال: حقاً صدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

الصلاة تُعين على الصبر:

ففي الصلاة أعمال بدنية وفكرية ولسانية، وفي

(1) سورة العنكبوت، الآية: 45.

الحقيقة لا يمكن أن يأتي المرء بهذه الأعمال بلا صبر، ولهذا نجد اقتران الصلاة بالصبر في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2].

ويقول عفيف عبد الفتاح طبارة: «والحكمة في اقتران الصلاة بالصبر هو أن النفس تتفاوت في قدرتها على الصبر، كما أن لها حداً معيناً من الطاقة على تحمل الصبر، فقد يكون نزول الكوارث على النفس أقوى مما تستطيع تحمله، فكانت الصلاة متممة لما تعجز عنه النفس من الصبر وكان في اقتران الصلاة بالصبر، والأخذ بهما معاً أحسن علاج لتحمل مصائب الحياة وهمومها».

الصلاة تعوّد على التواضع:

الصلاة تدرب الإنسان على التواضع وعدم الاستعلاء

(1) سورة البقرة، الآية: 153.
(2) سورة الرعد، الآية: 22.

على الغير، وفي الحقيقة ليست الصلاة إلا تواضعاً لعظمة الله سبحانه وتعالى؛ ويتجلى هذا التواضع والتذلل غايته في الركوع والسجود.

ففي هذا التواضع لله إشارة إلى عدم الكبرياء على خلقه، لأنها صفة من صفات الله تعالى؛ وليس لأحد من الخلق أن ينازعه فيها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار**»[1].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تخرجوا من مدرسة محمد ﷺ، علمتهم الصلاة كيف يتواضعون لخلق الله تعالى. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما توجه إلى الشام، جعل بينه وبين غلامه تناوباً في الركوب، فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير فرسخاً، ثم ينزل ويركب الغلام، ويأخذ عمر رضي الله عنه بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل، فلما قرب من الشام كانت نوبة الركوب للغلام، فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة، فاستقبله الماء في الطريق،

(1) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه.

فجعل عمر يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة، ونعلاه تحت إبطه الأيسر. فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام فقال: يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك، فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة. فقال عمر: إنما أعزنا الله بالإسلام، فلا أبالي من مقالة الناس.

ويروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمَّ قوماً مرة، فلما انصرف قال: مازال الشيطان بي آنفاً حتى أريت أن لي فضلاً على غيري لا أؤم أبداً.

الصلاة تدرب على الأمانة:

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور.

وقيل: الأمانة: الصلاة، وقيل: الفرائض، وقيل: أمانات الناس.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 72.

وروي أن علياً ﷺ كان كلما دخل وقت الصلاة تغير لونه فقيل له في ذلك، فقال: قد جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، فحملتها مع ضعفي، فلا أدري أؤديها أم لا.

فالصلاة إذن هي وديعة الله عند خلقه، إن المحافظة على هذه الأمانة الكبرى وهي الصلاة تستلزم المحافظة على الأمانات الصغرى، وتدربه على تأديتها. وقد حث الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث على تأدية الأمانات على اختلاف أنواعها إلى أصحابها، إن كانت أمانة الله، كتأدية العبادات، أو أمانة الناس وتأدية حقوقهم، أو أمانة الجسم (كالعين، والبطن، والفرج، واللسان.. إلخ).

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا طهور له**»[1].

روي عن مالك بن صفوان أنه قال: مات أخي فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي. فرأيت به نقطة سوداء في وجهه فسألته عنها؟ فقال: عندي ليهودي كذا وكذا دراهم بالأمانة ولم أؤدها

(1) رواه الطبراني.

إليه، فهذه النقطة لأجلها. فأسألك يا أخي أن تأخذ الأمانة من الموضع الفلاني وتردها إلى اليهودي. فلما أصبحت فعلت ما قاله، فرأيته ثانياً قد زالت عنه تلك النقطة، فقال: رحمك الله يا أخي كما خلصتني من العذاب.

ملاحظة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى لآدم: يا آدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها. قال: وما فيها يا رب؟ قال: إن حملتها أُجرت وإن ضيعتها عُذِّبت، فاحتملها بما فيها، فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها**»[1].

قال القرطبي في تفسير هذا العرض على السموات والأرض والجبال.

قال القفال وغيره: العرض في هذه الآية ضرب مثل كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾[2].

أي أن السموات والأرض على كبر أجرامهما لو

(1) رواه الترمذي.

(2) سورة الحشر، الآية: 21.

كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع، لما فيها من الثواب والعقاب، أي أن التكليف أمرٌ حقه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال.

والعرض هنا عرض تخيير لا إلزام، والعرض على الإنسان إلزام.

وقال آخرون: إن الآية من المجاز أي إذا قسنا ثقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال، رأينا أنها لا تطيقها، وأنها لو تكلمت لأبت وأشفقت لثقل الأمانة، كما تقول: عرضت الحِمل على البعير فأباه.

الصلاة تنمي ملكة حصر الذهن:

إن الصلاة هي وسيلة لتنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان، والتي يترتب عليها أكبر الأثر في نجاحه وفوزه في هذه الحياة.

فالمصلي الذي يستطيع ويحاول بكل قدرته أن يحصر فكره في معاني الصلاة وقراءة القرآن طيلة الوقت الذي تستغرقه الصلاة، وهو ما يسمى بالخشوع، لا شك بأنها تنمي فيه ملكة حصر الذهن وتصبح له أكبر معين في سائر الأعمال التي يزاولها. وهي المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[1].

(1) سورة المؤمنون، الآيتان: 1، 2.

وملكة حصر الذهن هي: القدرة على تركيز الخواطر في العمل المفرد الذي يكون عليه أن ينهض به، وأكثرنا تنقصه هذه القدرة على التركيز.

يقول (وليام جيمس) وهو من أكبر علماء النفس الحديث: «إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من الناس العاديين ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل، بل إلى الموضوعات والغايات التي يوجهون إليها همهم وإلى درجة التركيز التي يسعهم أن يبلغوها».

ويقول (مولتون مارستن) الأخصائي في علم النفس، في مجلة المختار من (ريدر زدايجست): «والعقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا ركز تركيزاً قوياً حاداً».

ويقول (وليام مولتون) في كيفية اكتساب هذه الصفة: «وهذه القدرة تكتسب بالمرانة، والمرانة تتطلب الصبر، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن بيّناً محكماً، هو ثمرة الجهد الملح، فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة أخرى، وخمسين مرة، ومئة مرة إلى الموضوع الذي اعتزمت معالجته، فإن الخواطر التي تتنازعك لا تلبث أن تخلي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلقى نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار».

ويقول وليام مولتون أيضاً: «وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما».

والصلاة في الإسلام، يعمل العقل فيها والجسم معاً، فالمصلي يركع ويسجد وهو يقوم بعملية الصلاة.

الصلاة تعلم المحافظة على الوقت:

وتعلم الصلاة الاهتمام بالوقت والمحافظة عليه، وعدم تضييعه، حيث الصلاة شرعت في أوقات محددة، وفرض علينا حتماً أن نؤديها في أوقاتها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1].

يعني فرضاً محدود الوقت، ومن تخلف عن الوقت لغير عذر شرعي كالنوم الغالب المستغرق للوقت كله، أو كالحبس المانع، كان مهدداً بالعذاب على تخلفه كقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[2]. والقصد من هذا التهديد تعويد المرء أن يؤدي الأعمال في وقتها وأن ينجزها قبل فوات فرصتها حتى لا تتراكم وتثقل، ويؤدي ثقلها إلى تركها أو ترك شيء

(1) سورة النساء، الآية: 103.

(2) سورة الماعون، الآيتان: 4، 5.

منها؛ فتضيع فوائدها ويصبح الكسل عادة للمسلم ويكون محدود النشاط قليل الإنتاج.

الصلاة تنمي ملكة الشجاعة ورباطة الجأش:

إن الصلاة تنمي الفضائل العالية كالشجاعة ورباطة الجأش في جميع التصرفات.

ذكروا أن علماء الإسكندرية كانوا يترددون على الأستاذ (أبي الحسن الشاذلي) يوم نزل بين ظهرانيهم، فأتوه يوماً فزعين فقال لهم: يا علماء هل صليتم؟ واستغربوا سؤاله وقالوا: يا شيخ وهل منا من لا يصلي؟ فقال لهم: صليتم هذه الصلاة التي قال عنها الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾[1]. فهل أنتم كذلك إذا مسكم الشر لم تجزعوا وإذا مسكم الخير لم تمنعوا؟ فسكتوا جميعاً. فقال لهم: ما صليتم هذه الصلاة قط.

الصلاة تدرب على الحياء:

جعل الإسلام الحياء في مقام الإيمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء**

(1) سورة المعارج، الآيات: 19-22.

من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء[1] من الجفاء والجفاء في النار»[2].

والصلاة التي اعتبر فيها ستر العورة درساً مهماً في الحياء، وفيه إشارة صريحة إلى المحافظة على الأعراض. ولهذا نجد الآن حضارة القرن العشرين تحث المرأة على قلة الحياء، وذلك بإعطائها الحرية التامة بعرض الأفخاذ والنهود، وذلك تحت ستار التقدمية، حتى انعكس الأمر فأصبح الرجل يغض الطرف حياءً والمرأة لم يبق فيها حياءٌ ولا خجل، نسأل الله العافية.

(1) البذاء: هو الفحش في الكلام.
(2) رواه أحمد والترمذي.

obeikandl.com